



الجميع كان يستهجن الحماية الدولية للاحتلال الصهيوني ضد المسائلة الدولية ويستنكر اصطفاف دولة مثل أمريكا يفترض أنها ديمقراطية وتنادي بالحربيات مع نظام استعماري يرتكب جرائم حرب بحق شعب أعزل يقاوم الاحتلال منذ سبعة عقود ومازال بصدور عارية.

وكان نعتقد حتى وقت قريب أن إسرائيل هي النظام الوحيد في العالم بعد زوال حكم جنوب أفريقيا الذي كان يتمتع بتلك المزاية، حتى جاء حكم آل الأسد في سوريا وارتكب الأسد الأب مجازر حرب الثمانينات في كل من حماة وحلب وادلب واللاذقية وريف دمشق وسائر سوريا،

و كنت أعتقد أن حافظ الأسد استفاد من التعظيم الاعلامي وقذفه على مجازره للتهرب من المحاسبة الدولية؛ حتى جاءت الثورة السورية المباركة وافتضح أمر هذه العصابة الصهيونية، وشاهدنا بأم أعيننا كيف تتمتع بأعلى درجات الحصانة من المحاسبة والمسائلة الدولية؛ حتى أنها فاقت جميع النظم السابقة واللاحقة، فلا يوجد في التاريخ نظام استبدادي ارتكب المجازر بال بشاعة التي ترتكب حالياً في سوريا، والتي تدرج تحت كل مسميات جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة وتهديد السلم الاقليمي والدولي، بما في ذلك كل أنواع الجرائم التي تخضع للمسائلة في المحاكم الدولية، والمدانة من قبل كل الشرائع السماوية والوضعية والقوانين الدولية والمحليّة.

الجميع سمع تصريح الأخضر الإبراهيمي في الأمم المتحدة أمس وتصويفه للأزمة السورية حيث وصف الوضع في سوريا بأنه: "خطير جداً وينحدر من سيء إلى أسوأ"، وقد أصبح مصدر تهديد للمنطقة وللسلم والأمن الدوليين. لقد وصل الوضع إلى طريق مسدود".

وقال: "إن هناك مأزقاً حقيقياً؛ وتحذر الإبراهيمي: عن "أن تعذيب السجناء في سوريا أصبح أمراً معهوداً"، وقال: "إن السوريين يخشون التوجه إلى المستشفيات التي يسيطر عليها النظام". وذكر: "أن 1.5 مليون شخص فروا من منازلهم، وأن البلاد تواجه نقصاً حاداً في المواد الغذائية".

فماذا يريد العالم أكثر من ذلك لكي يقبل رفع الحصانة عن هذا النظام المجرم ويبادر بتحويل المجرمين إلى المحاكم

الدولية، بالجرائم التي يرتكبونها على مرأى ومسمع العالم بأسره.

إن ما نقله الإبراهيمي إلى مجلس الأمن ليس سوى جزء بسيط من الحقيقة الماثلة على الأرض السورية.

لأنه نسي أو فاته توصيف التهجير القسري للمدنيين على الهوية ولمناطق بعينها وطائفة بعينها ، أيضاً نسي توصيف جرائم العقاب الجماعي وحرمان المدنيين من مقومات العيش البسيطة، حتى المواد الاغاثية التي تحاول المنظمات الدولية جاهدة ادخالها إلى محتاجيها داخل الأراضي السورية لا تصل ولا يسمح لتلك المنظمات من إيصالها، ناهيك عن براميل الموت المتنتقل والتي يتصف بها المدنيين وخاصة التجمعات السكانية، والمخابز، ومحطات الوقود؛ عند تجمع المواطنين للحصول على أسباب معيشتهم منها، ولا ننسى ذبح الآمنين من أطفال ونساء وكبار في بيوتهم، وأخيراً يظهر علينا بطريقة جديدة لسرقة وحرق وهدم البيوت والمعابد من مساجد وكنائس، وإهانة للمعتقدات والأديان والرموز الدينية، وخطف المدنيين ؛ فعدد المفقودين في سوريا بلغ ثلاثة أضعاف عدد القتلى المصرح بهم، وهؤلاء نعلم حسب تجربتنا السابقة مع النظام الصفيوني أن ما يزيد عن سبعة عشر ألف مفقود في مدينة حماه وحدها منذ عام 1982 م لم يعودوا حتى الآن.

ورغم كل ذلك نجد أن أطياف من الذين يدعون المعارضة تسارع إلى عقد مؤتمرها في دمشق لتهب النظام الصفيوني ورقة رابحة يلعب بها في مجلس الأمن ليدعى أن هناك مؤتمرات للمعارضة تعقد في دمشق، وأن المعارضة الخارجية هي من يرفض الحوار ويطلب من مجلس الأمن الضغط على تلك المعارضة لقبول الحوار معه، وينادي بإدراج الدول الداعمة للشعب السوري تحت ما يسمى الدول الراعية للإرهاب.

فأي عهر بعد هذا ، ونحن نرى المجرم يطالب بمحاسبة الضحية لأنها استسلمت لقاتلها وجعلت منه مجرم حرب.

نعم اليوم أدركنا أن المجتمع الدولي يكيل بمكيالين لكن ليس بين العرب وإسرائيل فقط، وإنما بين الشعوب وحكامها المستبدین، فالحسانة كل الحسانة لهؤلاء القتلة على ما يقدموه من خدمة جليلة لأعداء الشعوب.

إن الجريمة الكبرى ليست في الحسانة التي تمنح لهؤلاء المجرمين فقط، وإنما في سرقة القيم الإنسانية التي يعتاش عليها العالم في هذه المعمورة. وفي سرقة المعاني النبيلة من مخيلة البشر، وفي تحويل المجتمع الدولي إلى شريعة غاب: القوي هو الذي يمتلك الحق مهما كان الثمن المدفوع .

إن التدافع بين الخير المطلق والشر المطلق يتجلى بانصراف صوره في الثورة السورية العظيمة، وإنني أعتقد كما يعتقد الإبراهيمي "أننا سنجد مخرجاً في المستقبل القريب" لكن ليس على حساب القيم والمعاني الإنسانية الجميلة، وليس تنفيذاً لإرادات القوى التي تحكم في مصائر الشعوب، وإنما تنفيذاً لسنة الله في أرضه بأنه لن يغلب عُسرُ يُسرٍ.

المصادر: